



قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552



علامة العنوان وآلياتها القرائية

Title marker and its Reading Mechanisms

فريد حليمي^{*,1}

¹ المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار، قسنطينة - الجزائر

Key words:

title

text

thresholds

mark

semiotic.

Abstract

Mechanistic work according to a critical approach is one of the pitfalls and concerns that haunt the researcher and the academic in his field of research because critical theorizing has ample materials, its subject matter is divergent, and its terms differ from one translator to another. Therefore, this study aims to focus on the application side of a semiotic lesson that deals with textual thresholds, which are considered one of the signs and semiotic mechanisms that approaches the text semantically this critical approach and define its mechanisms, the title was an applied model that we monitor its concept, types, and method of approach as an independent text that has an organic and semantic link to the body that parallels it as well as external intercourse with absent texts that increase its poetic and its interference within a general semantic radiation that nourishes and strengthens the text. That is why the study starts from a general concept about the parallel text, and applying to an Algerian narrative reporter that is considered pivotal in its time because it is the throes of a difficult period of time in Algeria; It is "The Candle and the Dark Corridors" of watar

ملخص

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال: 2022-01-15

القبول: 2022-08-03

الكلمات المفتاحية:

النص،

العتبات،

العلامة،

السيمائية.

يعتبر الاشتغال الآلياتي وفق منهج نقدي ما أحد المطبات و الهواجس التي تؤرق الباحث و الأكاديمي في مجال بحثه لأن التنظير النقدي وافرة مادته متشعبة آراءه، ومختلفة مصطلحاته بين مترجم و آخر، لذلك تروم هذه الدراسة التركيز على الجانب التطبيقي لدرس سيميائي يعنى بالعتبات النصية هذه التي تعتبر واحدة من العلامات و الآليات السيميائية التي تقارب النص علاماتها وتبحث في علاقته و تناصاته و أبعاده الدلالية والتداولية. ولضبط هذا المنهج النقدي و تحديد آلياته كان العنوان نموذجاً تطبيقياً لرصد مفهومه و أنواعه و طريقة مقارنته كنص مستقل البنية له ارتباط عضوي و دلالي بالمتن الذي يوازيه كما له تناص خارجي مع نصوص غائبة تزيده شعرية و تدخله ضمن إشعاع دلالي عام يغذي المتن ويقويه. لهذا تنطلق الدراسة من مفهوم عام حول النص الموازي ثم الانتقال للعنوان - باعتباره نموذجاً - رسداً لأنواعه تحديداً في الأخير لآلياته المنهجية تطبيقاً على مدونة سردية جزائرية تعتبر مفصلية في زمانها لأنها مخاض فترة زمنية صعبة في الجزائر ' إنها رواية الشمعة و الدهاليز للراحل الطاهر وطار رحمه الله.

1. مقدمة

ترتبط دراسة العنوان في الدرس السيميائي باعتباره علامة لسانية و درسا سيميائيا قائما بذاته بخلفيات تأسيسية تنجح للإجراء وتميل لاستعمال اللغة الواصفة التي بدورها تروم الكشف عن مواطن الشعرية والجمال في النص الأدبي، لأن طبيعة هاته العلامة تجعلها مادة خصبة لبحث الشعرية و رصد مختلف العلاقات النصية بين العنوان والمتن وبين العنوان وباقي النصوص الخارجية التي تتلاقح عبرها وفق علاقات تناصية - بالمفهوم العام للتناص - أو عبر المتعاليات النصية على مذهب "جيرار جينيت" لذلك فالعنوان باعتباره وهجا ثانيا و إبداعا موازيا هو سليل الدراسات المابعد بنيوية التي تأسست على تلك الأطاريح النقدية حول النص وعلاقته ومختلف تحليلاته النسقية والسياقية.

وعليه تشغل هذه الدراسة على مبادئ المنهج السيميائي حيث البحث في الأنساق الدالة التي تشكلها مختلف العلامات التي تسيج النص وتبنيه وفق آليات نصانية تجعله منفوح الدلالة عميق الإيحاء.

هذا التطور في النص ومفهومه حيث الاستقرار على فرضية الأثر المفتوح، وتداخل النصوص للتشكيل الفسيقي أفرز موضوعا عاما يندرج فيه العنوان أو علم العنوان هذا الموضوع الذي أفرز له "جيرار جينيت" كتابا خاصا سماه "عتبات seuils أو ما يسمى ترجمة لـ paratext بـ" النصوص الموازية".

ومن هنا تنطلق الدراسة في البحث عن مفهوم النص الموازي و رصد خلفياته وقوفا على أنواعه التي بدورها تحيل منهجيا للعنوان باعتباره نصا من النصوص الموازية التي تخص المؤلف.

ومن هنا يلج البحث عوالم المعرفة النقدية المرتبطة بالعنوان بداية بمفهومه السيميائي، الذي مكنه من صناعة علم خاص به تأسس على يد الناقد الفرنسي "ليو هويك" هذا العلم الذي درس بنية العنوان و دلالاتها حيث الخوض في قضايا الغموض في الإبداع و أنواعه التي بدورها تفضي لطرائق صناعة العنوان وتشكيله مما يتمخض عنه التنوع و التماثل في العناوين ومادامت الدراسة تبحث في آليات قراءة العنوان باعتباره علامة لسانية كان النموذج حاجة ملحة وإن كنا نروم منذ البداية الجمع بين النظرية و التطبيق على اعتبار النص ممارسة سيميائية بامتياز، فقد اخترنا مدونة سردية جزائرية أفرزتها ظروف سياسية و ثقافية هي رواية "الشمعة والدهاليز" وعلى الرغم من قدم صدورها إلا أننا ارتأينا دراستها وفق منظور وتصور جديد يبحث في علامة العنوان وعلاقتها بالراهن السياسي ونقصد هنا راهن الإرهاب في الجزائر الذي أفرز نمطا في الكتابة جديدا و تعتيما و تشفيرا للدلالة بعيدا.

2. مفهوم النص الموازي "العتبات النصية"

ينطلق مفهوم النص الموازي أو العتبات النصية أساسا من تطور مفهوم النص و من البعد التكاملي في النظر إليه باعتباره كتابا، فهذه العتبات «تحوط به و تمدده من أجل تقديمه بدقة بالمعنى العادي للتقديم لكن أيضا بمعناه الأشد قوة من أجل جعله حاضرا وتأكيد حضوره في العالم و تلقيه و استهلاكه في صورة كتاب» (جوف، 2012، صفحة 20)، لذلك ترتبط بالطباعة والتأليف والنشر حيث تتراوح بين المؤلف والناشر، فتصبح بهذا «كل العلامات والإشارات التي يمكن أن يضعها الكاتب أو الناشر أو حتى الموزع تجسد الاستخدام الاجتماعي للنص الذي يحدد وجهة التلقي» (أرون، 2012، صفحة 463) ووجهة الترويج والإشهار للمنتج كما تحدد جنسه ومجال قراءته.

و عليه يخضع هذا البعد التداولي لسلطة المؤلف والناشر، لذلك تنقسم العتبات النصية - كموضوع للدراسة - إلى قسمين :

- عتبات خاصة بالناشر "Editorial" كدار النشر والغلاف وكلمة التوصية ...

- عتبات خاصة بالمؤلف "Autorial" كالعنوان والمقدمة والإهداء والتصديرات ...

ومنه يعتبر العنوان عتبة نصية خاصة بالمؤلف فكيف له أن يكون نصا موازيا و علامة سيميائية؟ وماهي آلياته القرائية؟

3. العنوان: le titre

أ. مفهومه سيميائيا

يعتبر العنوان علامة لسانية ترتبط أساسا بالنص وفي ارتباطه به طرائق في الدلالة وفي الاختزال فالعنوان مثلما يعرفه "ليوهويك" هو «مجموعة العلامات اللسانية التي تظهر على رأس نص ما قصد تعيينه وتحديد مضمونه الشامل وجذب جمهوره» (Hoek, 1981, p. 17) فالطريقة التي يحدد بها مضمون النص لا «تعبّر دائما عن مضامين نصوصها بطريقة مباشرة أي تعكسها بكل جلاء ووضوح بل نجد بعض العناوين غامضة ومبهمة ورمزية بتجريدها الانزياحي مما يطرح صعوبة في إيجاد صلات دلالية بين العنوان والنص وأن يبحث عن المرامي والمقاصد والعلاقات الرمزية والإيحائية» (حمداوي، 2007، صفحة 7)، لذلك فالعنوان باعتباره علامة يشكل نصا مستقلا بذاته ونصا موازيا وعتبة نصية فله استراتيجية بنائية في تشكل نصيته ونوافذ تناصية ينفث بها على النص وعلى شتى المجالات الفكرية والثقافية التي تشع بها دلالاته ودلالات النص.

ب. علم العنونة

العنوان عتبة نصية احتضنها علم مختص له أدواته الإجرائية في تحليل الظاهرة العنونية إنه "علم العنوان" أو "la titrologie" ويعتبر "ليوهويك". Leo H. Heok المؤسس الفعلي لهذا العلم «لأنه قام بدراسة العنونة من منظور مفتوح

أما التركيب الدلالي لعناوين الرواية الجزائرية فيتمثل في جميع الأنماط التي اشتغل عليها منظرو "علم العنوان" وهي خمسة أنماط حددها "ليو هويك" وتتمثل في العناوين الدالة على شخصية أو اسم علم العناوين الدالة على اسم مكان العناوين التي تحمل فكرة زمنية والعناوين الدالة على وصف (خمري، 1981، صفحة 72 73) من هذا:

- العناوين الدالة على اسم (علم أو حيوان): نحو "اللاز" أو "الخنازير".

- العناوين الدالة على اسم مكان: نحو "البيت الأندلسي".

- العناوين الدالة على فكرة زمنية: نحو "ذاكرة الجسد".

- العناوين الدالة على وصف: نحو "مذنبون لون دمهم في كفي".

كما للعناوين طرائقها في التعبير عن نصوصها و ترتبط الرواية باعتبارها إبداعا بنوع من العناوين سماها "ج.جينيت" "العناوين الموضوعاتية"، "T. Thématique" (Genette, 1987، صفحة 78)، لأنها لا تبغي المباشرة، والسطحية والعلمية في نقل الأفكار وترتبط أساسا بمضمون النص، وتأخذ أربعة طرائق في ذلك: (بلعابد، 2008، صفحة 80 79)

1- التعيين المباشر لموضوع الرواية نحو "الأمير عبد القادر"

2- استثمار آليات و فنيات البلاغة من مجاز مرسل، و كناية نحو "الرماد الذي غسل الماء".

3- اعتماد الرمز في صياغة العناوين "دم الغزال".

4- توظيف الجمل المضادة أو الجمع بين المتناقضات نحو "الفرشات والغيلان".

و عليه فإن العناوين الموضوعاتية هي مراد النص الأدبي لأنها تمكن النص من أن يكون نصا موازيا أو عتبة قراءة للمتن، و من خلالها تتشكل العلاقة بين العنوان و النص، فالعنوان يقدم تغطية للنص و يبرمج قراءة النص، و النص شرح العنوان، و يعلل معناه (Hoek L. H., 1974, p. 115)

د. أنواع العناوين

و من القضايا المرتبطة بعلم العنوان أيضا قضية الأنواع فليس في الرواية عنوان واحد يوضع على الصفحة المحددة له، نحو الصفحة الأولى و الرابعة، و صفحة العنوان، و صفحة العنوان المختصرة، كما قد يتكرر في أعلى صفحة كل فصل، بل هناك عناوين و لكل عنوان وظيفته و فضاءه.

يقسم "ليو هويك" العناوين إلى قسمين "أصلي"، و عنوان "فرعي" Sous-titre أما "كلود دوشي" فيقسمها إلى "أصلي" و "ثانوي" "Second Titre"، و فرعي (Genette, 1987، صفحة 55) و يتميز عنهما "شارل كريفل" بثلاثيته في التقسيم و ذلك بإضافة ما يسميه بـ العنوان الكلي الكبير و هو عنوان خاص بمجموعة أعمال مرتبطة ببعضها مع العنوان الأصلي والفرعي (Grivel, 1973, p. 168)

يستند إلى العمق والاطلاع الكبير على اللسانيات ونتائج السيميوطيقا وتاريخ الكتاب والكتابة فقد رصد العنونة رسدا سيميوطيقيا من خلال التركيز على بناها ودلالاتها ووظائفها» (حمداوي، 2007، صفحة 2) لذلك فللعنوان علاقات وصلات تساهم في بنائه وتشكيل مدلوله وتتصل هذه العلاقات بالجانب اللغوي التركيبي والجانب المعرفي والثقافي وحتى الايديولوجي ف «استراتيجية التسمية لدى أي كاتب تعتمد على رؤاه الفكرية وعلى مرجعيته الايديولوجية واستيحائه من خلال عمله الذي ينتجه، ويزداد التأثير حين يتعلق الأمر بعمل إبداعي» (حسين س.، 1999، صفحة 95) لأن العمل الإبداعي يجنح للمراوغة والتكثيف وقوة الإيحاء لذلك يرى "ليو هويك" أن دلالة العنوان لا تتشكل من المادة اللسانية فقط فهناك تفاعلات ومواد تتداخل في تفعيل دلالة العنوان وإعطائها تلك القوة الدلالية نحو اللغة المصطنعة أو الشكلية langue artificielle souformel كالعنونة بالحروف "s/z" لـ "رولان بارت" أو عن طريق التشفير أو اللعب بالأشكال والصور كأن يكون العنوان صورة "titre image" وهناك طريقة يعتمد فيها الروائيون علامات الوقف كالمذلول على العنوان كأن يضع عنوانا يعبر عن علامة استفهام أو تعجب (Hoek, 1981, p. 20).

ج. بنية العنوان ودلالاته

تتميز بنية العنوان بالاختصار وبالفقر النحوي فهو جزء يعبر عن كل لذلك فهو شديد الفقر على مستوى الدلائل وأكثر غنى على مستوى الدلالة وهذه الوفرة مستوحاة من علاقته بنصه (الجزا، 1998، صفحة 23) حيث يولد هذا التكثيف الموجود في بنية العنوان ضربا من الغموض والإيهام المقصود والمبيت من طرف الكاتب والذي هو غموض وظيفي يشرك المتلقي في عملية الإبداع من خلال فك شفراته لأنه غموض مؤسس على مؤشرات سيميائية يمكن تأويلها في ظل مدلولات النص وينقسم الغموض إلى: (حليفي، 1993)

1- غموض لازم: وهو غموض لا اعتباطية فيه يمكن تأويله لأنه مبني على وجه بلاغي يدمر المعنى القاموسي ويؤسس على أنقاضه معان عدة لا تتشابه ولكن ما بينها رابط خفي يربطها.

2- غموض غير لازم: وهو غموض لا يعطي فرصة للتأويل ويحصر المعنى منذ البداية وهذه سمة في العناوين الكلاسيكية وفي الروايات التسجيلية.

ومنه يتميز العنوان كنص مواز ببنية تركيبية على مستوى اللفظ أداها النحو والبلاغة وبنية تركيبية على مستوى الدلالة أو المعنى.

يظهر في صيغ نحوية وبلاغية متنوعة فقد يرد جملة اسمية تامة نحو "الأسود يليق بك" أو جملة اسمية حذف أحد طرفيها نحو "أصابع لوليطا" أو جملة فعلية نحو "بان الصبح" أو عنوانا مركبا تركيبيا إضافيا نحو "دم الغزال"، أو تركيب عطف نحو "الشمعة والداهليز"

- ليوهويك : - عنوان أصلي + عنوان فرعي .

- كلود دوشي : - عنوان أصلي + عنوان ثانوي + عنوان فرعي .

- شارل كريفييل : عنوان أصلي + عنوان فرعي + عنوان كلي .

و يعتبر كل من " ليوهويك " ، و " دوشي " أن " العنوان الفرعي " عند الأول أو " الثانوي " عند الثاني عبارة عن مؤشر جنسي للكتاب ، وهذا ما انتقده " ج. جنيت " لأن العنوان الفرعي عنوان شارح ، ومفسر لعنوانه الرئيسي ، أما ما يظهر كمؤشر جنسي ، هو المحدد لطبيعة الكتاب ، لتظهر بذلك هذه المعادلة : (Genette, 1987، صفحة 55 56)

- عنوان + عنوان فرعي

- عنوان + مؤشر جنسي

و من التقنيات المعتمدة أيضا في تقسيم المتن الروائي تسمية الفصول بالحركات نحو رواية " الأسود يليق بك " ، والتي تتكون من أربعة حركات ، و كل حركة تتكون من مجموعة أجزاء يتصدر كل جزء بقول مأثور لرجل عالم أو مفكر أو فيلسوف من العرب أو من الغرب فكانت هذه التصديرات بمثابة مداخل ، أو عتبات توطد لقراءة المتن ، تغني القارئ عن العنوان الفرعي .

و عليه فلكل أديب استراتيجيته في تقسيم روايته وإن كانت عنوانة الفصول بعناوين موضوعاتية تتناص مع العنوان الرئيسي و تتقاطع مع متونها تعطي النص الروائي بعدا شعريا ، و جماليا أكثر من الترقيم كما تتقاطع جميع الروايات في استعمال العنوان الرئيسي و يبقى " العنوان الثانوي " و سيلة يجنح إليها حين يرى أن العنوان الرئيسي خافت الدلالة يمشي نحو التعقيم والتشويش المؤثر على المتلقي

ف " أمين الزاوي " مثلا في رواية " الرعشة " أردف هذا العنوان بعنوان ثانوي ، يوجه دلالة العنوان الرئيسي لأن مدلول هذه اللفظة قد يأخذ أبعادا أخرى ، كأن تكون هذه الرعشة سبب البرد أو المرض أو الخوف لكنه بإضافة " العنوان الثانوي " امرأة وسط الروح و حكاية أطراف الريح " يتحدد الحقل الدلالي للفظه العنوان الرئيسي

هـ. زمنية العنوان

رغم أن زمنية العنوان تختلف عن زمنية النص فإن العنوان يتسم « بتبعية للنص ، أي يتأخر عن النص بنائيا و زمانيا و لهذا سوف تتجه محاولات المؤلف الى المطابقة بين العنوان و النص » (حسين، 2007، صفحة 55) لكن ما يجب الحذر منه هو ما يسمى بـ " انحراف العنوان " ، أي حين يتغير العنوان الرئيسي و يوضع مكانه عنوان آخر ، قد يكون هو " العنوان الفرعي " " Sous Titre " و في هذا الغرض أصل تداولي حيث يعتبر العنوان حدثا كلاميا " Acte De Parole " مستمرا أو منقطعاً تقع بنيته السياقية بين هذا الحدث الكلامي و تلك الأنماط التواصلية (Hoek, 1981, p. 302) و خير تدليل على هذا الطرح ، ما حدث في عنوان رواية " منحدر السيدة المتوحشة

" لـ " واسيني الأعرج " و الذي كان عنوانا رئيسيا ، لكن القارئ الفرنسي لم يستهوه هذا العنوان لأنه لا يمثل شيئا في ثقافته ، و لا في محيطه ، فاختار العنوان الفرعي " حارسة الظلال " ليتخذ عنوانا رئيسيا لهذه الرواية ، فكانت قوة هذا البعد التداولي قد فرضت هذا العنوان ، و لم يستطع اختيار الروائي أن يتربع على ذوق القراء و إن كان اختياره جماليا ، يتكئ أساسا على هذا المد التداولي ، لأن " منحدر السيدة المتوحشة " هو مكان موجود في الجزائر العاصمة (الرياحي، 2007، صفحة 30) و هو لا يهم القارئ الفرنسي و لا يعنيه و لا يستهويه كعنوان روائي لأنه يرى فيه نوعا من السطحية ، و اللا شعيرية لكن " حارسة الظلال " عنوان يحمل من الشعرية و الجمال لما فيه من تخيل ، و تجسيد و تخضيب للنثر بماء الشعر ، و عليه فللمتلقي سلطة لما يعتمد العنوان الجانب التداولي و السياقي في صياغته ، و هذا مرتبط بمرجعيات كثيرة تجب الإحاطة بها لإمكانية قراءة العنوان و فك شفراته ، فـ « العنوان علامة ثقافية لأن استعملاته تبعث طرائق ممكنة وواقعية في انحرافات النص ، و مدلولاته ، كما تسمح هذه الاستعمالات باستحضار اسمه و دلالاته المعجمية » (Hoek, 1981, p. 28) لذلك نجد اختلاف العناوين عبر حقبة زمنية مختلفة و قد كان هذا الاختلاف بؤرة اهتمام المشتغلين على علم العنوان و على رأسهم " ليوهويك " (Genette, 1987, p. 54) ، فالعنوان العربي القديم مثلا يميل للسجع ، و للعبارة المتفرقة و للصبغة الموسيقية ، كما يميل للطول فلما نسمعه نحس « أن حدثا ما قد وقع ، و يقع في مجرى الزمن مستمرا من خلال الدال الكتابي » (حسين، الكتابة و استراتيجيات التسمية، 2006، صفحة 4) ، و مثله العنوان في الرواية الجزائرية فمثلا عناوين رواية التسعينيات والتي أفرزتها ظروف سياسة معينة لها صدى يوحى براهن متأزم و بحالة اجتماعية متوترة و غير مستقرة فلو نتأمل هذه العناوين التي تمخضت عن هذه الفترة " الحب في المناطق المحرمة " لـ " جيلالي خلاص " ، " بيت من الجماجم " لـ " شهرزاد زاغر " المراسيم والجنائز " لـ " بشير مفتي " و " فاجعة الليلة السابعة بعد الألف " لـ " واسيني " و من دون الرجوع إلى متونها الروائية تترك فينا انطبعا معينا ، سببه الإحساس بمعاني :

- الحرمان — الحب في المناطق المحرمة

- الخوف — بيت من الجماجم

- الحزن — المراسيم والجنائز

- الفزع — فاجعة الليلة السابعة بعد الألف

و عليه فـ « التحولات التي تلحق نظام العنوانية في فترة ما أو في دائرة اتجاه أدبي أو نصي ، أو رؤيوي ما ليست اعتباطية ، بل هي مرتبطة عند الأديب الواحد ، أو عند جيل بكامله بطبيعة الواقع الذاتي و المحلي و القومي و الإنساني » (جكيب، 2000، صفحة 544) والثقافة والديني وحتى الإيديولوجي.

و. العنوان بين الشعرية والمنطق

فتأثر العنوان بهذه المرجعيات لا يوقعه في تلك المنطقية في الطرح حيث وبمجرد قراءة المتن نتفق جميعا على عنوان واحد و معين للنص وكأنه ينطق باسمه لأن العنوان في الإبداع الروائي يتسم دائما بالشعرية، فلما يدل دلالة مباشرة على المتن يوسم بالعنوان المنطقي و منها تظهر خاصيتي الغموض اللازم، و الغموض غير اللازم فالعنوان الذي يطغى بالشعرية يتميز بـ "غموض لازم" و هو غموض مبني على وجه بلاغي يدمر المعنى القاموسي، و يؤسس على أنقاضه معاني عدة لا تتشابه، و لكن ما بينهما رابط خفي يربطها، أما العنوان المنطقي "فيمتيز بـ"غموض غير لازم" غموض لا يعطي فرصة للتأويل، و يحصر المعنى من البداية في معنى محدد سلفا في القواميس مثلما نجده في العناوين الكلاسيكية و بعض الروايات التسجيلية الحديثة (حليمي، 1993، صفحة 32)

و عليه فالشعرية هي مطلب العنوان الأدبي لأنها تحمله على الانفتاح و التحرر و بالتالي القدرة على اختزال المتن الروائي بطريقة تتعالق مع شتى الجماليات و المرجعيات فتقيم « مسافة تتيج للدوال أن تلتقي في علاقتها الإيحائية كما تسمح للتركيب النحوي - أحيانا - أن يلعب دور الدال اللغوي بشكل ينفي سلطته على الدوال و حركيتها من جهة و يجعل منه قيمة مضافة إلى هذه الحركة من جهة أخرى» (الجزار، 1998، صفحة 77) فتكسر هيمنة الدلالة المعجمية و تشع بإيحاءات و دلالات العنوان التي لا تتأني إلا من خلال إفرزات المتن الروائي، فيتشكل بذلك نصان نص المتن الروائي و نص يوازيه هو نص العنوان له « شعرية منفردة تتبع شعرية النص و ليست منغمسة فيها، فلكل من العنوان و النص شعرية لاختلاف التجربة، و الفارق الزمني (...) فلكل منهما قراءة و بينهما تعالق لا يخفى» (مداس، 2007، صفحة 50)، لكن شعرية العنوان تفوق شعرية النص لخاصية كل منهما، فاختصار العنوان و فقره اللغوي جعله يستطيع الجمع و التوزيع حيث يجمع جملا كثيرة، و نصوصا طويلة في جملة أو كلمة واحدة ثم يوزع كما كبيرا من الدلالات، و الإيحاءات المرتبطة بالعمل الروائي.

و عليه يقع العنوان « تحت ذرائعية هذا العمل التي توجه شعرية العنوان وظيفيا لخدمتها» (الجزار، 1998، صفحة 115) و من هنا تصبح مهمة اختيار العنوان أمرا شاقا و عسيرا يحتاج الى وهج ثان و حمى ثانية للإبداع و لعل هذا ما جعل بعض الأعمال تحيد عن عنوانها الأصلي لآخر فرعي، أو تجعل جمهور القراء يضيفون كلمة أو كلمتين في العنوان الذي اختاره الروائي.

وتأسيسا على ما سبق اخترنا مدونة سردية جزائرية مفضلية في زمانها لأنها مخاض فترة زمنية تمثل مرحلة تحول نحو التجريب الحداثي كما الالتزام بواقع تسعيني كان عنوانه الأول الإرهاب وواقع المثقف و الفنان ضمن هاته المعمعة التي أحرقت الأخضر واليابس.

إنها رواية "الشمعة والدهاليز" للطاهر وطار.

4. رواية "الشمعة والدهاليز" للطاهر وطار

1- العنوان الرئيسي: "الشمعة والدهاليز"

2- العنوان التجنيسي: رواية

3- العناوين الفرعية:

العنوان الفرعي	الصفحة من...إلى.....
(1) دهليز الدهاليز	من ص 11 إلى ص 101
(2) الشمعة	من ص 102 إلى ص 148
(3) طبيب	من ص 149 إلى ص 212

4- بنية العنوان الرئيسي

العنوان في بنيته اللغوية يتكون من مفردتين يتوسطهما حرف عطف هو "الواو" حيث يربط هذا العاطف مفردة وأخرى جمع: "الشمعة" مفرد مؤنث و "الدهاليز" جمع صيغة منتهى الجموع، ومفردة "دهليز" وهو لفظ معرب عن الفارسية «مرتاض، 1996، صفحة 112) أما معناه اللغوي فيعني المسلك المظلم الطويل والضيق والعنوان من حيث مبناه فقير معتمد على دلالات وإشعاعات اللفظيتين اللتين اختارهما الروائي ليختزل نصه ويعبر عنه.

5- العنوان كبنية لها دلالاتها الخاصة

يدل نمط هذا العنوان على حدث ووصف، حيث إن العنوان يجمع بين لفظتين تحملان معاني متناقضة، فالشمعة توحى بالنور والضيء والأفكار الجميلة النافعة القادرة على إضاءة طريق صاحبها بينما "الدهليز" والذي وظف جمعا ليدل على الكثرة فيوحي بالظلام والسواد والتخلف في الأفكار، هاته التي تأخذ صاحبها نحو طريق مظلم، مخيف ومضل.

6- القراءة السياقية

أ. القراءة النسقية

قدّم الروائي في عنوانه الشمعة على الدهاليز فهل هذا التقديم يعني وجود تعاقب زمني بينهما؟ أم هناك اشتراك وجمع دون فاصل زمني؟ لهذا وجب معرفة مقاصد هذين اللفظين وإلى ما يرمزان؟ وهل هذا العنوان موضوعاتي يختزل متنه حقيقة؟ لمعرفة هذا لا بدّ من تجزئة القراءة من خلال معرفة تعالقات العناوين الفرعية مع متونها ليتسنى لنا إسقاطها على العنوان الرئيسي.

تشتمل الرواية على مائتين واثنين عشر صفحة، حيث تنقسم إلى ثلاثة أقسام اتخذ الروائي للأول عنوان "دهليز الدهاليز" ولثاني "الشمعة" ولثالث "طبيب".

يمتد الأول من الصفحة الحادية عشر إلى الصفحة مائة وواحد والثاني من الصفحة مائة واثنين إلى الصفحة مائة وثمان وأربعين، والثالث من الصفحة مائة وتسع وأربعين إلى

الصفحة مائتين واثنى عشر.

طرق كثيرة، وهذا إحياء بالاختلاف وهذا الاختلاف أدى إلى أزمة فالجزائر على فوهة بركان موت "بومدين" وهو رمز للاشتراكية مجيء "الشاذلي" وهو رمز للرأسمالية، تعدد الأحزاب والإشارة هنا لمن يطالبون بقيام دولة إسلامية وعليه فكل توجه له ماله في علاقته مع اللغة ومع الدين ومع الوطن ومع الماضي ومع الحاضر، ومن هنا بدأ في الجزائر اللا وضوح الدهليزي والخوف وكل هذه الدهاليز تفرعت عن دهليز كبير هو الراهن والعصر تقول الشخصية الرمزية عن هذا العصر إنه «دهليز كبير ورغم ما نعتقده من أنه منار بشتى أنواع المعرفة فإنه مظلم وغامض» (وطار، 2007، صفحة 12)

لذلك فالطاهر وطار أراد وصف هذه الدهاليز المتمثلة في الأزمة الجزائرية من حيث هذه التوجهات الفكرية والمعتقدات الآنية، فجعل بطل هذه الرواية يعيش في الجزائر على فرضية قيام دولة إسلامية من لدن شباب اختاروا توجهها معينا ولباسا خاصا حيث «يرتدون قمصانا بيضاء، ويضعون على رؤوسهم قلنسوات بيضاء متساوية الأحجام مثلما هم متساوون السن والقامات، والحي المتدلية» (وطار، 2007، صفحة 13) وهنا صار المثقف وغيره من أصحاب الإيديولوجيات المختلفة بين أمرين أحلاهما مر: أن ينظموا إليهم وهم غير مقتنعين بكثير من الأفكار ومن الأحكام الجاهزة الملقنة أو يستمروا في توجهاتهم وبالتالي تصير حياتهم في خطر ثم يرجع الراوي مع بطل روايته للحديث عن الثورة الجزائرية هذا الاسترجاع الذي قال عنه "عبد المالك مرتاض" «المبالغة في الرجوع إلى الوراء للحديث عن الثورة الجزائرية في نص روائي يعالج أصلا إشكالية راهنة، بدا لنا سلوكا يحتاج إلى كثير من التبرير الفني والتاريخي لكي يغتدي مقبولا» (وطار، 2007، صفحة 20) لكن الروائي على درجة كبيرة من الوعي الفني فيما يكتب فاسترجاع الثورة حديث عن أصل في تاريخ الجزائر هذا التاريخ الذي شاركت فيه كل فئات المجتمع، فمنهم الاشتراكي ومنهم الرأسمالي ومنهم من اختار الدولة الإسلامية - طبعاً إن لم تكن الجزائر كذلك - فلماذا التملص من الماضي؟ ولماذا هذا الصراع الذي يفرض بنا إلى دهاليز ومتهاتات وأزمات خانقة؟ ولماذا الصراع بين الآباء والأجداد في الجزائر؟ لماذا ينقسم البلد إلى قسمين مثلما قالت الشخصية الرمز «هذا البلد انقسم مرة وإلى الأبد إلى قسمين: الماضي والحاضر الماضي البعيد والقريب يتوجب الانسلاخ منه بكل ما فيه تماماً مثلما يفعل الثعبان، وهو يتخلص من جلده المستقبل هو إغماض العينين في الدهليز، والاستسلام لوهج نور موهوم لشمعة تقود إلى العصر» (مرتاض، 1996، صفحة 113) ولعل العبارة المفتاح في هذا القول هي "الاستسلام لوهج نور موهوم" لأنها تعكس الراهن وحال الناس، فالنور الموهوم إحياء بالأفكار المضلّة التي تدعي الهداية والصواب لكنها أفكار هدامة تشل العقل وتحجر التفكير وتجعل الإنسان رهين أحكام جاهزة: أفكار تجعل من الاختلاف نقمة ومن المثقف معول هدم لا وسيلة بناء، فمثل هذا الراهن لا يمكن وصفه إلا بالدهليز المليء بالدهاليز المخيف.

ولعل الملفت للنظر في هذه الرواية إهداء صاحبها؛ حيث أهدها - الرواية - لروح الشاعر والباحث "يوسف سبتي" الذي كان يتنبأ لكل ما يجري قبل حدوثه، كما أن وقائع "الشمعة والدهاليز" تجري قبل انتخابات 1992 وإن شخصيات الرواية تحمل بعض خصائص ومميزات شخصيات كان يعيش معها الروائي حيث نفي أن تكون هذه سيرة ذاتية لأحد ما مقرا بأن الرواية هي تداعيات فكرية تمخضت عنها تلك الدهاليز، ولعل هذا الإهداء والتقديم الذي استهل به الروائي العنوان والعناوين الفرعية يعطينا مفتاحاً من المفاتيح الكثيرة التي تقرأ بها الرواية والتي نقرأ بها العنوان والعناوين الفرعية لأن العنوان هو البداية، والبداية تكون من الباب أو من العتبة، والباب لا يفتح إلا بمفتاح، وصناعة هذا المفتاح تكون بمواد يجمعها من خلال العلامات السيميائية والشفرات الأدبية المبثوثة في ثنانيا النص، والتي يكيّفها بمبدأ التأويل الذي يعتمد الحاضر لاستجلاء الغائب والحاضر يبدأ من الإهداء والمقدمة حتى آخر النص، فكلها تتفاعل وتساهم في قراءة ومقاربة العنوان.

● تعالق العناوين الفرعيين مع المضمون

أ. العنوان الفرعي الأول: "دهليز الدهاليز"

"دهليز الدهاليز" أول عنوان فرعي لرواية "الشمعة والدهاليز"، حيث نلاحظ أن العنوان الرئيسي بدأ بالشمعة ثم الدهاليز، أما العنوان الفرعي الأول والذي تنطلق أحداث الرواية معه فبدأ "بالدهاليز" دون ذكر للشمعة، وهذا العنوان يتكون من كلمة واحدة في معناها لكنها وظفت مفرداً في الشق الأول وجمعاً في الشق الثاني ليكون هذا التركيب إضافياً حيث إن الجمع أضيف إلى المفرد إحياء بالتشعب والتوغل والكثرة.

لكن ما هذه الدهاليز كلها؟ وإلى ما ترمز؟

بطل هذه الرواية هو شاعر جزائري عاش منذ زمن الثورة وقد كان أحد رجالاتها يساري التوجه، متفرنس لا يكتب إلا بالفرنسية عازب رغم تقدم سنه حيث يرجع تأخر زواجه لكثرة المطالعة يقول: «أنا أستاذ بالجامعة وشاعر وبسبب انشغالي بالمطالعة لم أتزوج ولن أفعل ذلك على ما يبدو» (وطار، 2007، صفحة 876). عموماً هو رجل مثقف ذو توجه معين يحكم عقله في شتى القضايا لم يرد له اسم سوى وصفه بـ "الشاعر".

وعلى أثر هذه الشخصية نفتني أثر العنوان الفرعي الأول.

ترمز شخصية الشاعر لحال المثقف الجزائري في سنوات تمخضت عنها رؤى وأفكار كثيرة من لدن فئات معينة في المجتمع ومثل هذه المراهقات الفكرية الآثار السلبية دائماً على المثقف تقول هذه الشخصية الرمز «أنا هذا المجرم الذي تتمثل جريمته في فهم الكون على حقيقته، وفي فهم ما يجري حوله قبل حدوثه» (وطار، 2007، صفحة 108 107).

كانت الجزائر قبل انتخابات 1992 في طريق تتفرع منه

العنوان الفرعي الثاني عنوانا رمزيا موضوعاتيا اعتمد صاحبه الكناية والرمز أيضا.



ب. العنوان الفرعي الثالث "طبيب"

يعتبر هذا العنوان الفرعي العنوان الوحيد الذي ورد نكرة مقارنة مع العنوانين السابقين: "طبيب" اسم يدل على مهنة نبيلة وشريفة صاحبها يسعى لعلاج الناس بعد تشخيص أمراضهم، ولعل المجتمع الجزائري وهو يخطئ في هذا الراهن المليء بالدهاليز يحتاج لطبيب لذلك فهذا العنوان الفرعي يتواصل ضمنيا مع عنوان "الشمعة" لأن الظاهر من خلال هذا المتن الموسوم بـ "طبيب" أن "الشمعة" لم تجد من يعيها ويستثمر دورها لأن المجتمع الجزائري في هذه الفترة لم يفهم دوره وواجبه فراح كل يتقمص دور البطولة وما وجدوا إلا دور الآلهة يناسب طموحاتهم، وهذا ما نقرأ من هذا المتن لأن الشخصية الرمز شخصية الشاعر بعدما عينت وزيرة للفلاحة من لدن الدولة الإسلامية عرضت على محكمة تمثلها مختلف التوجهات والأيديولوجيات لتدين الشاعر، ولعل القاسم المشترك بين هذه التوجهات والأيديولوجيات كلها هو الحكم على الشاعر بالخيانة العظمى (وطار، 2007، صفحة 147)

لماذا يا ترى يحكم على هذا الشاعر بالخيانة؟ ولماذا ينتهي الحال به إلى الإعدام؟ إنها الدهاليز والفضوى الفكرية، لذا لابد من طبيب يشخص هذا الحال ليعالجه حتى يعي الناس دور الشمعة هذه الشمعة التي تضيء هذه الدهاليز والسراديبي، وعليه فهذه العناوين الفرعية تحكمها علاقة تكاملية بل إن الروائي في بناء عناوينه الفرعية اعتمد التشخيص ثم اقتراح العلاج، فالراهن دهاليز مظلمة والحل لإنارتها هو الشمعة

وعليه يصبح العنوان الفرعي "دهليز الدهاليز" عنوانا يختزل متنه بطريقة غير مباشرة لأنه عنوان رمزي يصف الراهن وما فيه من غموض وتضليل إنه عنوان موضوعاتي اختار صاحبه طريقة الكناية والرمز للتعبير عن متنه.

● العنوان الفرعي الثاني "الشمعة".

العنوان الفرعي الثاني "الشمعة" عنوان يتكون من كلمة واحدة معرفة بـ "ال" وهي كلمة تمثل في الرواية النصف الأول من العنوان الرئيسي، أما من حيث دلالتها فهي أداة للإنارة لكنها في هذه الرواية وظفت وصفا لأنها استعملت رمزا، وعليه إلى ما ترمز الشمعة هنا؟

لعل القارئ للشق الثاني من الرواية يرى أن "الشمعة" ترمز إلى الفتاة الشابة التي أحبها "الشاعر" واسمها "الخيزران" إنها الجهة المنيرة في حياة الشاعر ومن هنا يختار الطاهر وطار لغة مختلفة عن التي وظفها في الشق الأول من الرواية يختار لغة منسوجة بسلاسة مختلطة بعواطف متأججة من ذلك وصف الشاعر لحبيبته حيث يقول: «أطلت في مخيلته بوجهها الغلامي ذي العينين المنتصبين، وفي طرقي وجهها، بحيث تبدوان كأنهما لمومياء فرعونية لنفرتيتي أو لكليوباطرا أو كأنها لغزالية، لها مضاء حاد...» (وطار، 2007، صفحة 46 47)

وعليه فهذه الفتاة بالنسبة للشاعر نقطة انعطاف في حياته إنها الحل ليخرج للنور ويخترق دهاليز حياته يقول: «إنها بداية الاختراق ولقد اتقدت شمعة نورها كنور الشمس، هل هي بداية لحالة حب؟» (وطار، 2007، صفحة 102) لكن الروائي في هذا المتن الموسوم بـ "الشمعة" يوظف لفظة "الشمعة" في مواطن مختلفة كلها توحى بالعلم والمعرفة والطريق الصحيح، حيث جعل منها -الشمعة- الوسيلة الناجعة للقضاء على الدهاليز وبث النور فيها مهما كانت هذه الدهاليز سواء ارتبطت بالمعتقدات أو بالحياة المدنية للإنسان من أمثلة ذلك في النص «لله نور السماوات والأرض بما في الأرض من سراديب وكهوف ودهاليز... بنور الشمعة تستضيء الدهاليز» (وطار، 2007، صفحة 135)

«من لم يوقد شمعة الزواج يا ولدي ظل دهليزه مظلمًا» (وطار، 2007، صفحة 119)

وعليه فالشمعة كعنوان لا ترمز لتلك الفتاة التي أحبها الشاعر فحسب بل هي رمز للإصلاح والتغيير والفكر النير لذلك ففي هذا المتن قدم "الظاهر وطار" جملة عريضة ذكر فيها أعلاما للعلم والمعرفة من مختلف الحضارات والديانات وكلها شموع مضيئة مهما كان الموقف الذي استحضر فيه هذه الأعلام فكلها وظفت مع تداعيات فكرية جادت بها قريحة الطاهر وطار على لسان شخصية "الشاعر" تداعيات فكرية تمخضت عن تلك الأزمنة وعن تلك الدهاليز لتقول إن السبيل هو العلم والعقل فهو الشمعة "المنيرة ومنه يصبح

♦ لمقاربة العنوان لابد من قراءته نصاً له بنية خاصة ثم قراءته نصاً موازياً يدخل في علاقات تناصية وانطولوجية مع النص المتن.

♦ يتغذى عنوان الشمعة والدهاليز من الراهن السياسي والثقافي في الجزائر.

عنوان الشمعة و الدهاليز عنوان موضوعاتي يختزل متنه باعتماد الكناية والرمز

تضارب المصالح

يعلن المؤلفون أنه ليس لديهم تضارب في المصالح.

قائمة المصادر والمراجع

- Genette, G. (1987). seuils. france: Edition du seuils.
- Grivel, C. (1973). production de l'intérêt Romanesque. paris: la Haye.
- Hoek, L. H. (1974). L'imposition fausservaisemblance du linguistique au textuel . amsterdam : kibidivarga .
- Hoek, L. H. (1981). La Marque du Titre. france: seuil.
- أرون. ب. (2012). معجم المصطلحات الأدبية. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و لتوزيع.
- الجزار م. ف. (1998). العنوان و سيميوطيقا الاتصال الأدبي . مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- بلعابد. ع. ا. (2008). عتبات جيران جينيت " من النص إلى المخاص " . الجزائر: منشورات الاختلاف.
- جميل حمداوي. (2007). مقاربة العنوان في النص الأدبي. مجلة الكرمل، 7.
- جوف. ف. (2012). شعرية الرواية . دمشق: دار التكوين.
- حسين. س. (1999). الطريق إلى النص. دمشق: اتحاد الكتب العرب.
- حليفي. ش. (1993). النص الموازي للرواية "استراتيجية العنوان". مجلة الكرمل، 32.
- خالد حسين حسين. (2006). الكتابة و استراتيجيات التسمية. الموقف الأدبي ، 4.
- خالد حسين حسين. (2007). في نظرية العنوان " مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية ". دمشق: دار التكوين.
- خمرى. ح. (1981). ما تبقى لكم " العنوان و الدلالات . الموقف الأدبي . 73 72.
- عبد الملك مرتاض. (1996). قراءة نقدية في رواية الشمعة و الدهاليز . مجلة العربي ، 112.
- كمال الرياحي. (2007). مواجهات أدبية. تم الاسترداد من www.maktoub.com.
- محمد التونسي جكيب. (2000). إشكالية مقاربة النص الموازي و تعدد القراءات . مجلة جامعة الأقصى ، 544.
- مداس. أ. (2007). لسانيات النص " نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري ". الأردن: دار الكتاب العالمي.
- وطار. ط. (2007). الشمعة و الدهاليز. الجزائر: موقف للنشر.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

فريد حليمي (2023)، علامة العنوان و آلياتها القرائية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 15، العدد 01، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، ص: 254-247

وإن جهل الناس دور الشمعة فلا بد من طبيب قد يكون عالماً وقد يكون فقيهاً المهم أن يحسن تعليم الناس أن الأفكار النيرة وتحكيم العقل والإيمان بالاختلاف واحترام آراء الآخرين هو الحل.

من هذا كله يتراءى لنا العنوان الرئيسي-الشمعة والدهاليز - ولعل أول ما تستبينه هو أن الجمع بين الشمعة والدهاليز جمع يقتضي الاشتراك دون فاصل زمني لأن الأفكار النيرة موجودة مع هذه الدهاليز

لكنها قليلة وهذا مردُّ أفراد "الشمعة" وجمع "الدهاليز" وعليه فالعنوان الرئيسي -الشمعة والدهاليز- عنوان موضوعاتي يختزل متنه باعتماد الكناية والرمز عنوان يستضيء بفهم الراهن الذي تمخضت فيه الرواية والذي نأمل أن يصبح "شموعاً ودهاليز" ولن أقول "شموعاً" فقط .

ج. القراءة الخارجية

"الشمعة والدهاليز" عنوان على ما يحمله من دلالات يحتاج لفضائية ناطقة بدلالاته، وما دامت الدهاليز على ما تحمله من دلالات أوفر وأكثر حضوراً من الشمعة في ذلك الراهن كان اختيار غلاف الرواية اختياراً داعماً لدلالات "الدهاليز" لأنه عبارة عن لوحة فنية ممزوجة بأشكال هندسية ملتصقة بعضها ببعض من مربعات ومستطيلات أو دوائر دونما تنظيم في وضعها ملونة بمختلف الألوان حيث تشتت عين المتلقي في فوضى ألوانية دونما أن تقع العين على لون معين وهذا يشبه الدهاليز التي لا يستبين داخلها مسلماً معيناً لما فيها من غموض، وسط هذه الألوان، وفي وسط الصفحة كتب العنوان الرئيسي بخط عريض كبير وبلون أسود يستقطب عين المتلقي حيث لا تسكن العين وسط تلك الألوان المتداخلة إلا عليه لما للون الأسود من فخامة، وبروز، ولعل كتابة الشمعة بخط أسود لا يليق بدلالاتها إلا إذا جعلنا اللون الأسود بالنسبة للشمعة وصفاً لحياتها وسط هذه الدهاليز.

خاتمة

نخلص في الأخير إلى مايلي :

♦ يعتبر العنوان في النص الأدبي علامة لسانية لا تقرأ إلا بالاشتغال على التأويل وفك التشفير

♦ للعنوان طرائق شتى في صياغة بنيته من جملة اسمية وغيرها كما له أنماط مختلفة في صياغة مدلولاته نحو اسم العلم والحيوان والمكان والزمان

♦ تعتبر العناوين الموضوعاتية مطلب النص الأدبي لما فيها من شعرية وجمال

♦ ينتسب العنوان الأدبي إلى الشعرية لأن المنطق ينزع منه روحه وجماله فالعنوان يبغى التلميح لا التصريح

♦ للعنوان أنواع لعل أبرزها العنوان الرئيسي لكن باقي الأنواع فهي آليات لمقاربتة وبحث العلاقة بينه وبين النص المتن